بعض الممارسات التربوية لأمهات المؤمنين و زوجات الصحابة في تربية الطفل في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم

بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول علي درجة دكتوراه الفلسفة في التربية (تخصص أصول تربية)

الباحثة /إيمـــــــــــان محـــمد الســـيد الشـــــامي

إشراف

أ.د/ آمال العرباوي مهدي
أستاذ التربية المقارنة
وعميد كلية التربية
جامعة بورسعيد

أ.م.د/محمد سعد محمد السيد
أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة العربية و الدراسات الإسلامية
كلية تربية
جامعة بورسعيد

١٤٣٢هـ-٢٠١١ م

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي أرسل الرسل مبشرين ومنذرين وجعلهم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة في السلوك الفاضل والخلق النبيل، وجعل لهم أزواجاً وذرية، القائل في محكم كتابه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ سورة [الرعد: ٣٨]

ولا شك أن الأولاد في الأسرة نعمة عظيمة، وهبة من الله سبحانه القائل في كتابه الكريم: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَو يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ سورة الشورى الآيتان ٤٩-٥٠. فالأسرة بدون الأولاد أشبه بشجرة تساقطت أوراقها وهجرتها البلابل المغردة، ولا غرو في أن يحرص كل زوجين على أن ينجبا لينعما ببهجة الأطفال والآمال المعقودة عليهم إذا ما بلغوا مبلغ الرجال وكم من زوجين فرق بينهما العقم على الرغم مما قد يكون بينهما من حب ووئام، وقد بين القرآن الكريم أن الأبناء زينة الحياة الدنيا ومتاعها، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ سورة الكهف، آية ٤٦.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها لأقوام[١] " فالأولاد نعمة ومتعة من متع هذه الحياة، وهم كما قال عنهم الأحنف بن قيس" :ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة[٢] "، وما دام الأولاد نعمة ومتعة وزينة، فإن الإسلام رتب لهؤلاء الأبناء حقوقاً من قبل الآباء، وهي حقوق تقضي بها الفطرة السوية، ولكن الإسلام مع هذا وضع الضوابط والقواعد التي تحافظ عليها، وتحول دون التفريط فيها أو إساءة القيام بها [٣].

إن التراث يتمثل في جانبي الفكر والعمل، وبهما قامت الحياة في الماضي وامتدت في تطورها حتى يومنا هذا. ولا يوجد حد فاصل يقف عنده تراث الماضي، فالماضي لا يزال يمضى كل يوم ..والتراث في ماضيه لا يزال يعيش في حياتنا و نفوسنا عقائد وقيماً، و عادات، وممارسات، ونظم حياة. إنه ليس تاريخا مضى وانقطع، إنه حي بثقافته التي تكوننا عقليا ونفسيا، فرديا واجتماعيا، وتجعل لنا هوية خاصة نعرف بها بين الأمم.. ومع ذلك فنحن لم نمتلك ماضينا معرفيا لتكون لنا القدرة على تجاوزه وجعله ماضيا للحاضر، لا حاضراً للماضي[٤].

فمن أكثر أسباب نجاح أمهات المؤمنين و زوجات الصحابة في تربية أطفالهم أنهن جميعا اتبعن منهجاً واحداً في التربية، و لم يخرجن عن حدوده. ألا و هو كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فاتبعن ما ذكره الله في الذكر الحنيف من آداب و أخلاقيات وما طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم و حث عليه.

---

[١] عبد الغني الدقر، مختصر تفسير الخازن، دار اليمامة، القاهرة، ١٩٩٤، الجزء الثاني، ص ٩٧٤.

[٢] أبي إسحاق القيرواني: زهر الآداب (تحقيق د. زكي مبارك)، المكتبة العصرية للنشر، الجزء الأول، ٢٠٠١، ص ٦٣.

[٣] عبد الحميد الأنصاري: حقوق الأولاد قبل الوالدين، بحث منشور بالمجله العلمية، كلية الشريعة، جامعة قطر، العدد الثاني عشر، ١٩٩٤، ص ٣١١.

[4] دراسة قدمت في مؤتمر" المرأة العربية و المشاركة المجتمعية: الآليات وتوجهات المستقبل"، جامعة جنوب الوادي والمركز العربي للتعليم والتنمية، الأقصر- قنا،١١-١٤ فبراير ٢٠٠٢.

لذا لم تتفاوت وجهات النظر في التربية لتسمح بدخول الشاذ أو الغريب نظرا لتوافق المبادئ المُتّبعة في التربية، فكانت النتيجة جيلاً كاملاً من الصحابة تشكلت أخلاقهم من كتاب الله و سنة رسوله، فكانوا كالبنيان الواحد لا يقوى عليه أحد.

و من هنا وجب الاقتداء بسنة الرسول ﷺ واتخاذ الصحابة خير مثل في تربية أولادنا، عسى الله سبحانه و تعالى أن ييسر لكل امرأة تربية أولادها، حتى يتسنى للمجتمع العربي المسلم المزيد من التقدم، وذلك الاقتداء بسنة رسولنا الكريم يكون سبباً في نصرة الدين الإسلامي.

و في ضوء ما سبق تتحدد مشكلة الدراسة في السؤال التالي:

(١) ما أهم الممارسات التربوية لأمهات المؤمنين وزوجات الصحابة وما أثرها في التربية المعاصرة للطفل؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلي تحقيق الهدف التالي:

(١) إلقاء الضوء على الأساليب والممارسات التربوية السليمة التي كانت متبعة في عهد الرسول (ﷺ) لتربية طفل ما قبل المدرسة.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة مما يلي:

(١) أهمية المجال نفسه وهو عرض أهم الأساليب والممارسات التربوية السليمة لأمهات المؤمنين وزوجات الصحابة التي كانت متبعة في عهد الرسول (ﷺ).

(٢) إمكانية استفادة راسمي السياسات التعليمية في المؤسسات التربوية في الوقت الحالي من نتائج هذا البحث في وضع خطة تربوية برؤية إسلامية معاصرة تساعد في تنشئة الطفل.

وفقا لطبيعة الدراسة و أسئلاتها تستخدم الباحثة كلا من:

أولا: المنهج التاريخي:

يتناول هذا المنهج بالعرض والتحليل الوقائع والأحداث والاتجاهات التي وقعت في فترة زمنية ماضية بالنسبة لمشكلة من المشكلات أو حدث من الأحداث، ويتابع هذا المنهج خطوات التطور في الفكر البشرى بالنسبة لموضوع معين يعتبر أساسا لبحث المشكلة أو الحدث في الوقت الحالي. و استخدمت الباحثة المنهج التاريخي في عرض لواقع المجتمع الإسلامي في عهد الرسول- صلى الله عليه و سلم-.

و تستعين الباحثة بالمنهج التاريخي لاستعراض المواقف التربوية في السنة النبوية للوصول إلى أهم الدروس المستفادة و محاولة تطبيقها في الوقت الحالي.

ثانيا المنهج الوصفي:-

يتضمن هذا المنهج دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف معين أو مجموعة من الأحداث أو الأوضاع أو البشر يرغب الباحث في دراستها والتعرف على أبعادها ولا يتوقف المنهج الوصفي عند حدود وصف الظاهرة – موضوع الدراسة – وإنما يتعدى ذلك إلى التفسير والمقارنة و التقويم للوصول إلى تعميمات ذات معنى تزداد بها المعلومات عن تلك الظاهرة. و استخدمت الباحثة هذا المنهج في العرض لطبيعة المجتمع المصري في الألفية الثالثة و عرض لأهم ملامحه.

الدراسات السابقة

١- دراسة بعنوان: من التراث التربوي في الإسلام " نظام الأسرة في الصدر الأول من الإسلام –

أمثلة ونماذج "[٥].
هدفت الدراسة إلى توضيح خصائص الأسرة في الإسلام.
و استخدمت الدراسة المنهج الوصفي نظرا لملاءمته لموضوع البحث.
و من أهم نتائج الدراسة ما يلي:
١- أن الأسرة أرست قواعد العمل الاجتماعي و المؤسسي و حددت أطر التعامـل بـين الكيانـات المجتمعية الصغيرة.
٢- أن الأسرة ذات وظائف متكاملة.
من توصيات الدراسة ما يلي:
١-التأسي بالأسرة العربية منذ عهد الرسول ﷺ لما لها من مواقف و تعاليم مشرفة.
٢-الاهتمام بغرس المبادئ الإسلامية السامية في نفوس الأطفال.
تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في عرض أهمية دور الأسرة المسلمة في تنشئة الأطفال.
استفادت الباحثة من هذه الدراسة في:
١-عرض خصائص الأسرة المسلمة في صدر الإسلام .
٢-شرح نظام الأسرة المسلمة عند أصحاب المذاهب.
٢-دراسـة بعنـوان: نظريـة روسـو التربويـة
دراسة تحليليَّة ناقدة من منظور التربية الإسلامية[٦]
تهدف الدراسة إلى إبراز المقومات الأساسيَّة الضرورية لقيام بنية النظرية التربوية، لتكون أساساً لدراسة الفكر التربوي والنظريات التربوية، ومعياراً للمقارنة والنقد. ومن ثمَّ تطبيق ذلك على نظرية روسو التربوية بعرض افتراضاته عن كل مقوم، ونقدها من منظور التربية الإسلامية.
و استخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي، والمنهج الوصفي، والمنهج النقدي.
و من أهم نتائج الدراسة ما يلي:
١-المقومات التي حددها مور للنظرية التربوية هي الأنسب لنقد أي نظرية تربوية، ومنها نظريـة روسو التربوية موضوع الدراسة. أما الحكم على النظرية وتقويمها، فبمنظور تربوي إسلامي .
٢-ظهرت آثار الموقف الرافض للفساد والاضطرابات التي شملت الجوانب الدينيـة، والـسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية في المجتمع الأوربي خلال القرن الثامن عشر علـى اتجاهـات روسـو التربوية، وافتراضاته عن الأهداف التربوية، والإنسان، والمعرفة، وطرق التدريس، والـصلة بـين المعلم والمتعلِّم.
٣-كانت غاية روسو إخراج إنسان طبيعي حرّ لا تكبله قيود مجتمعه الفاسد، وهي غاية تقصر عـن بلوغ عالمية وربّانيّة الغاية الإسلامية التي تتميّز بالوضوح، والثبات، والمرونـة، والـصلاحية لأي زمان ومكان وأمة.
١- يقترب روسو كثيراً من التربية الإسلامية في نظرته لطبيعة الإنسان الخيرة، والمقومات المكونة للإنسان، ومكانته بين المخلوقات. إلا أنَّه لعدم انطلاقه من مـسلّمات الـوحي-كمـا فـي التربيـة الإسلامية-فقد افتقر إلى التصور الصحيح الواضح. .

([5]) محمد المأمون محمد علي: من التراث التربوي في الإسلام " نظام الأسرة في الصدر الأول من الإسلام "، رسالة دكتوراه منشورة، مجلة كلية التربية، ع ٦٤، جامعة المنصورة، مايو ٢٠٠٧، ص٢٧٧.

[٦]ظافر بن سعيد آل حمَّاد الشهري: نظرية روسو" دراسة تحليلة من منظور إسلامي"،رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية التربية ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية،٢٠٠٧.

٢-تنحصر مصادر المعرفة عند روسو في ثلاثة مصادر، وذلك بحسب طرق تحصيلها، عن طريق الحواس والعقل والضمير. أمَّا في التربية الإسلامية فإنه لا ينكر دور الضمير الداخلي في المعرفة، ولكن المصادر الأساسية تتمثل في الحواس والعقل والوحي.
٣-تركزت طرق التدريس عند روسو كثيراً على ذاتية التلميذ في التعلُّم واستخدام حواسه، ومشاركة المعلم في إعداد المواقف، وتطبيقها مع المتعلِّم، وملاحظة ظواهر الطبيعة، واكتشاف الحقائق عملياً. والتربية الإسلامية تقرّ الجانب الإيجابي للمتعلِّم، واستخدام الحواس، والطرق العملية في التعلم، إلا أنّها تؤكّد على ضرورة استخدام طرق نقل المعلومات الأخرى؛ من إلقاء، وإخبار، وقراءة، وإقناع عقلي بالمناقشة بتدرّج يُناسب القدرات، وتوازن وتكامل يميز التربية الإسلامية عن افتراضات روسو لطرق التدريس

من أهم توصيات الدراسة ما يلي:

١- ضرورة الاهتمام بدراسة الأهداف التربوية، والطبيعة الإنسانية، والمعرفة، وطرق تدريسها من منظور إسلامي، ونشرها بين دارسي التربية محلياً، وعالمياً .
٢- ضرورة الاهتمام بالدراسات النقدية للفكر الوافد، وخصوصاً نقد النظريات والأفكار التربوية التي انتشرت في عصرنا الحاضر.
٣- ضرورة نشر الوعي التربوي بين كلّ من له علاقة بالعملية التربوية والتعليمية؛ من اهتمام بغرس العقيدة الإسلامية، ومراعاة لخصائص مراحل النمو في مرحلة الطفولة، وتدريب الحواس والقدرات العقلية في ظلّ توفّر وسائل التعليم التقنية الحديثة، وضرورة تنويع المعلمين لطرق ووسائل تدريسهم في المرحلة الابتدائية.

تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في ضرورة الاهتمام بدراسة الأهداف التربوية وتدريسها من منظور إسلامي.

استفادت الباحثة من هذه الدراسة في:

١- إبراز المقومات الأساسيَّة الضرورية لقيام بنية النظرية التربوية.
٢-ضرورة استخدام طرق نقل المعلومات؛ من إلقاء، وإخبار، وقراءة، وإقناع عقلي بالمناقشة بتدرّج يُناسب القدرات، وتوازن وتكامل يميز التربية الإسلامية عن افتراضات روسو لطرق التدريس.
٣-دراسة بعنوان: التوجيه الإسلامي للتنشئة الخُلقيَّة بين الأُسرة والمجتمع[٧]

هدفت الدراسة إلى ما يلي:

أولاً : الوقوف على التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقيّة .
ثانيًا : إبراز اهتمام العلماء المسلمين وجهودهم في بيان الجانب الخلقي .
ثالثًا : إيضاح أهميَّة وأسس ومراحل التنشئة الخلقيّة في ضوء التوجيه الإسلامي .
رابعًا : بيان وظيفة الأسرة في البناء الخلقي .
خامسًا : بيان أهم وسائط التربية ذات التأثير الفعَّال على التنشئة الخلقيّة .
سادسًا : بيان أسس البناء الخلقي للمجتمع الإسلامي.

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي ، وذلك لعلاقته بوصف الأخلاق الإسلاميَّة، ووصف وتحليل دور الوسائط الاجتماعيَّة والتربويَّة في التنشئة الخلقيَّة.

---

[٧]خالد بن حامد الحازمي: التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥.

من أهم نتائج الدراسة ما يلي:
أولاً : إنَّ الأخلاق الإسلاميَّة لا تقوم على المنفعة الماديَّة والتصوّرات العقليَّة، وإنّما تُمثِّل سلوكًا في الأقوال والأفعال، ولها أسس وضوابط، هي: النيَّة الخالصة لله تعالى، ومتابعة الرسول صلى الله عليه و سلم، وإلزاميَّة هذا المنهج، ممَّا يجعله بمثابة الضابط الخلقي لسلوك المسلم، بالإضافة إلى يسره، ممَّا يجعله ملائمًا لخصائص الإنسان.
ثانيًا : إنّ لضَعف الوازع الديني، والجانب الاقتصادي، والبيئة الاجتماعيَّة، وسوء التوافق النفسي، الأثر الكبير في الانحرافات الخلقيَّة.
ثالثًا : يعمل التوجيه الإسلامي على تنمية الفضائل الخلقيَّة لدى المسلم، ويُعالج المنحرفين بأسلوب مستطاع، يتلاءم مع طبيعة الإنسان، كما أنَّه يعمل على وقاية المجتمع من الانحراف.

رابعًا : إنّ هناك العديد من الوسائط الاجتماعيَّة والتربويَّة ذات الفعاليَّات للتنشئة الخلقيَّة الصحيحة، والتي إذا أسّست ووجهت التوجيه الإسلامي الصحيح، فإنها تكون أداة إصلاح وبناء، وإذا انحرف مسارها، أصبح لها الدور السيء، وانعكست النتيجة .
خامسًا : إنّ هناك أسسًا لا يصلح البناء الخلقي للمجتمع إلا بها، وإذا فقد واحد منها، انحرفت دعائم التنشئة الخلقيّة وتعثّرت، وهي: الأساس العقدي، والتعبدي، وتطبيق العقوبات الشرعيَّة، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
لا توجد توصيات.
تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في الوقوف على التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقيّة.
استفادت الباحثة من هذه الدراسة في:
١-بيان أهم وسائط التربية ذات التأثير الفعَّال على التنشئة الخلقيّة.
٢ - إبراز اهتمام العلماء المسلمين وجهودهم في بيان الجانب الخلقي.

٤- دراسة بعنوان: الجهود التربوية في عصر الخلفاء الراشدين[٨].
هدفت الدراسة إلى الكشف عن الحركة التربوية في عصر الخلفاء الراشدين، و أنها ضرورة لإيضاح أبعاد التعليم و دوافعه للاستفادة منه.
و استخدمت الدراسة المنهج التاريخي و ذلك لرصد و تحليل أهم المتغيرات الدينية و السياسية والاجتماعية التي شكلت إطارا للجهود التربوية في عصر الخلفاء الراشدين.
و من أهم نتائج الدراسة ما يلي:
١- تعتبر الخلافة الإسلامية أول مظهر من مظاهر المدنية، ففي فترة الخلافة الراشدة كان القرآن الكريم والسنة النبوية هما المستند الرئيس لكل مظهر من مظاهر الحياة.
٢- سار الخلفاء الراشدون على منوال النظام الإداري الذي أرسى النبي صلى الله عليه و سلم قواعده.
٣- انتشر الإسلام في دولة الراشدين انتشارا واسعا.
٤- تأثر الوضع الاجتماعي للدولة الإسلامية بالفتوحات.

([8]) منى على السالوس: الجهود التربوية في عصر الخلفاء الراشدين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، ١٩٩٥.

لم تحتو الرسالة على توصيات.
تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في: توضيح أهمية إرساء المبادئ الإسلامية في التربية والاقتداء بمنهج الرسول – صلى الله عليه و سلم – التربوي.
تختلف في التعرض بالشرح الوافي للجهود التربوية المتبعة في عصر الخلفاء الراشدين.
استفادت الباحثة من هذه الدراسة في:
١-توضيح بعض المبادئ التربوية في عهد الرسول –ﷺ-.
٢-شرح كيفية انتشار الإسلام و توضيح الظروف الاجتماعية و السياسية المصاحبة لذلك.
٥- دراسة بعنوان : التعليم في المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ [٩].
هدفت الدراسة إلى الكشف عن واقع التعليم في المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ مع إبراز ملامح و أبعاد و خصائص التعليم في هذه الفترة.
استخدم الباحث في الدراسة المنهجين التاليين:
أ- المنهج الاسترادادي: للتعرف على تطور التعليم و المتغيرات التي كان لها تأثير في التعليم الذي ساد المدينة المنورة خلال العهد النبوي.
ب- المنهج التحليلي الكيفي : لتحليل النصوص الواردة في المصادر و المراجع بغية الكشف عن كافة مكونات التعليم، و بيان العوامل المؤثرة.
و من أهم نتائج الدراسة ما يلي :
١- أن التعليم المبني على أسس إسلامية سليمة يرسي قواعد المجتمع بطريقة صحيحة.
٢- أن العوامل البيئية و الاجتماعية تشكل سببا رئيسيا في تحديد الطرق المستخدمة في التعليم.
تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في توضيح طبيعة التربية و التعليم في عهد الرسول ﷺ، كما توضح طبيعة الظروف الاجتماعية في عهد الرسول ﷺ.
استفادت الباحثة من هذه الدراسة في :
١-عرض القوى و العوامل المؤثرة في التعليم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.
٢-توضيح أهداف التعليم من حيث أهميتها و مصادر اشتقاقها العامة.

مقدمة:

وشهدت نهاية القرن العشرين و بداية القرن الحادي و العشرين تطورا مذهلا وتقدما مطردا وتغيرا هائلا، وأحداثا سريعة غير مسبوقة إلي الحد الذي نستطيع عنده أن نقول، أن الكرة الأرضية على اتساع أرجائها و امتداد سواحلها وشموخ جبالها و انبساط أوديتها، أصبحت حيا صغيرا يرى فيه الإنسان و يسمع كل ما يدور و يحدث. الأمر الذي تسبب في التأثير العميق و التأثر البالغ بين البيئات الغنية المتقدمة، و البيئات الفقيرة المتخلفة، فهيمنت القوى الهائلة على الوجود البشري، وتحكمت في مقدرات الشعوب وفرضت نموذجها ليحتذي به. والأسوأ من ذلك أنها تنشر الحرب والدمار و الرعب، في كل الربوع و لا تبالي بحياة البشر، و لا حرياتهم، ومن لم يخضع بهذا الأسلوب يخضع بغيره. وعلى الشعوب الخاضعة أن تحاول بقدراتها المعدومة أن تقاوم هذا الزحف

(٩) سند بن لافي الشاممانى الحربي: التعليم في المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بالمدينة المنورة، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٠ .

المتعدد الأساليب و المتشعب الطرق الفادح ضرره والمعدوم نفعه. إذا أرادات أن تحيا وتجد لها على الأرض موضعا[١٠].

وباسم الدين الموروث فإن المفاهيم القديمة المتعلقة بطبيعة المرأة كمخلوق أدنى وبوضعها الاجتماعي المحصور داخل بيتها "محجبة مستورة" لا تزال لها سيادة وانتشار سواء في طبقات شعبية أو متعلمة تأخذ بالتصرفات السلفية وبالممارسات التقليدية [١١].

و لقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ يوم صاغ من فكرة الإسلام شخوصا وحوّل إيمانهم بالإسلام عملا و طبع من المصحف عشرات من النسخ، ثم مئات وألوف و لكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، إنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله –ﷺ– من عند الله. و من أراد ان يعرف شئيا عن تربية الرعيل الأول من صحابة رسول الله –ﷺ– ومن جاء يعدهم بإحسان فليستقرأ التاريخ ليسمع الكثير عن جليل مآثرهم و جميل فضائلهم [١٢].

و يكفي الصحابة شرفا و فخرا أن يقول القرآن في حقهم: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّه وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِه يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً " [الفتح:٢٩]

و يقول الله تعالى {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:٩].

ويقول تعالى {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}[الأحزاب:٢٣]

وإليكم ما قاله الصحابي الجليل (عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه في تعداد محامدهم وفضائلهم:" من كان متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا و أعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا، اختارهم الله لصحبة نبيه و إقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم"

إن عصرنا الحديث مليء بالتيارات الفكرية و النزعات المذهبية التي تنتشر بين ناشئتنا وتحتاج إلي نظرة فاحصة تميز الخبيث من الطيب ، و الإسلام لا يعادي جديدا إلا إذا كان ضلالا، و لا يصد تطوراً إلا إذا كان انحدارا، فالإسلام دين الحرية و دين العقل ودين التطور و التقدم، ودين البطولة و

([10]) علي محمد علي الألفي: أساليب الرسول "ص" في تربية الأطفال ومتطلبات تطبيقها لمواجهة تحديات العصر، رساله ماجستير، كلية التربية، جامعة المنصورة، ص ١٣٤.

([11]) محمود قمبر: المرأة بين التصورات والممارسات في التراث الإسلامي والدور التربوي المطلوب، مستقبل التربية العربية، المركز العربي للتعليم والتنمية، جامعة المنصورة، العدد السابع والعشرون، أكتوبر ٢٠٠٢، ص ٢٩٧-٢٩٨.

([12]) عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٥.

دين كل قيمة رفيعة أصيله، و لكنه لا ينخدع بكل ما يذكر باسم الحرية واسم العقل، واسم التطور والتقدم، واسم البطولات فلا بد من تميز الحق من الباطل والأصيل من المزيف [١٣].

مواقف تربوية للصحابيات في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم–.

فقد حرصت الصحابيات على تربية أبنائهن على حب الإسلام والدفاع عنه والاتصاف بالشجاعة في مواجهة الخصوم، ومن هؤلاء الصحابيات:

تماضر بنت عمرو بن الحارث:

المشهورة بالخنساء، والتى شهدت حرب القادسية بقيادة سعد بن أبى وقاص ومعها أبناؤها الأربعة الذين بقوا لها من الدنيا، بعد أن امتد بها العمر، وطال بها السن. ويحفظ التاريخ ما قالته الخنساء لأبنائها قبل المعركة والذين ربتهم على العزة والكرامة، فقالت لهم: "يا بنى أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذى لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة". وانطلق الأبناء الأربعة على هدى هذه الكلمات النيرات التي سمعوها من أمهم، وأبلوا في المعركة بلاء حسنا، حتى استشهدوا واحدا وراء الآخر. وحين علمت السيدة الجليلة باستشهاد أبنائها الأربعة لم تجزع ولم تلن، وإنما قالت كلمات لا تزال تتردد فى مسامع الدنيا إلى يومنا هذا، وهى: "الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته ." و يقال ان تماضر بنت عمرو بن الحارث توفيت عام ٤٣ هـ [١٤].

أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها:

نرى أسماء بنت أبي بكر مع ولدها عبد الله بن الزبير حين حاقت به المكاره، وحوصر بواسطة الحجاج بن يوسف داخل مكة، وتفرق عنه أكثر من كان معه – وقد كان بويع قبل ذلك بالخلافة وظل ينادى بأمير المؤمنين فترة من الزمن فى كثير من البلدان الإسلامية – وحين رأى عبد الله بن الزبير هذا الذى حدث دخل على أمه وقال لها. "يا أماه خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى، فلم يبق معى إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا، فما ترين"؟ فقالت له الأم الصبورة ذات القلب الكبير" :أنت – والله – يا بنى أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك غلمان بنى أمية يلعبون بها، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك، وإن قلت: كنت على حق، فلما وهن أصحابى ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، وكم خلودك فى الدنيا؟ القتل أحسن ."وجعلت تذكره بأبيه الزبير، وجده أبى بكر الصديق، وجدته صفية بنت عبد المطلب، وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ، وترجيه القدوم عليهم إذا هو قتل شهيداً، فوافقت هذه الكلمات ما كان فى نفس ولدها، فقام وقبل رأسها، واستودعها الله سبحانه وتعالى، وقال لها – ليزداد يقينه من صبرها وثباتها –: أخاف أن يمثلوا بجثتى بعد موتى؟ فنطق لسانها

---

(13) عبد الحليم عويس: الإسلام وتحديات العصر، شركة الإعلانات الشرقية، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة، ٢٠٠١، ص٣.

(١٤)أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة" تحقيق ابن حسن الفيومي"، المطبعة الشرفية، المجلد الرابع، ٢٠٠٨، ص ٣٠٧.

بكلمة صارت مثلاً يضرب فى مواطن الشجاعة والثبات، وقالت: "يا بنى، إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها." و قيل ان أسماء بنت أبي بكر توفيت سنة أربعة و سبعين هجرية. [١٥]

أسماء بنت عميس:

هي أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية ابن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن خلف بن أقبل الخثعمية. وأمها:- هند بنت عوف بن زهير بن الحارث الكنانية وهي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأخت لبابة أم الفضل زوجة العباس وأخوات ميمونة لأم هن عشر أخوات وست لأب[١٦].

كانت حياتها رضي الله عنها مليئة بالأحداث والمواقف، وقد اختلفت الروايات وقيل أن أسماء بنت عميس كانت قبل الإسلام تحت حمزة بن عبد المطلب ابن عم رسول الله r أنجبت له ابنة " أمة الله" ثم من بعده كانت تحت شداد بن الهادي الليثي وأنجبت له عبدالله وعبد الرحمن ولكن قيل بعد ذلك أن المرأة التي كانت تحت حمزة وشداد هي سلمى بنت عميس وليس أسماء أختها.

تزوجت أسماء بنت عميس جعفر بن أبي طالب وأسلمت معه في وقت مبكر مع بداية الدعوة إلى دين الرشاد والهدى، حتى أنه كان إسلامها قبل دخول رسول الله – صلى الله عليه وسلم- دار الأرقم بمكة وكان زوج أسماء بنت عميس ابن عم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- جعفر بن أبي طالب- رضي الله عنه-، أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد المدافعين عن الحق، الواقفين في وجه الظلم والكفر،أحد المؤازرين لرسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وكان رضي الله عنه مقرّبا من الرسول- صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصلاة والسلام يوده ويقربّه وكان شبيها به- صلى الله عليه وسلم- فقد كان عليه الصلاة والسلام يقول لجعفر:- " أشبهت خلق وخلقي"[١٧]. فكان ذلك يسر أسماء ويسعدها ذلك عندما ترى زوجها شبيها بأحسن الخلق وأفضلهم، فكان يحرّك فيها مشاعر الشوق عندها لرؤية النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم [١٨].

وكانت بالفعل نعم الزوجة الصالحة، المخلصة، الوفيّة، والمحبّة لزوجها، وحين أجمع رجال قريش على مقاطعة كل من دخل في دين الإسلام، أو آزر مسلما. فلما أذن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بالهجرة إلى الحبشة، كانت أسماء بصحبة زوجها من جملة المسلمين المهاجرين، متحملين أذى قريش وطغيانهم، كل ذلك في سبيل الله تعالى وتنفيذا لأوامر نبيهم عليه الصلاة والسلام، فخرجوا تاركين مكة فراراً بدينهم، شادين الرحال في سبيل الله، وكانت هذه الهجرة قد أقبلت بعد زواجهما بفترة حديثة، فانطلقا إليها، فقد كانت الهجرة قد وثقّت بينهما أكثر من السابق، وقد ملأ عليهما الإسلام كل ذاتيهما وكل ذرة في كيانهما، فقد كان نعم المؤمنين المجاهدين، الصابرين، الصادقين لا'نهما كانا يعلمان أن ما عند الله تعالى خيرا وأبقى. وصل المسلمون إلى الحبشة وكانت أسماء وزوجها في مقدمتهم وقد أقاموا في منزل متواضع صغير، تحيطه مرارة الغربة والقسوة ولكنه كان غنياً بالحب والمودة والاحترام الذي يملأ الزوجين. حقا لقد ملأ جعفر حياة أسماء بحلوها ومرها فساهمت مع زوجها أعباء نشر الحق والدعوة الإسلامية. أنجبت لجعفر وفي بلاد الحبشة أبناءه الثلاثة: عبدالله، و محمداً، وعوفاً، وكان ولدها عبالله أكثر شبهاً بأبيه حمزة الذي كان شبيها

---

[١٥]أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥، ص ٢٢٠.

(١٦) محمد سعيد مبيض: موسوعة حياة الصحابيات، دار الثقافة، إدلب- سوريا، ١٩٩٨، ص ٣٨-٣٩.

[١٧]سام محمد حمامي: نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم، دار العلم، دمشق، ١٩٩٨، ص٣٦٤.

[١٨]عيد مهنا: أخبار النساء في العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢ ص١٣٩.

بالرسول عليه الصلاة والسلام فكان ذلك يدقدق مشاعرها ويبهجها لرؤية النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم.–[١٩]

وأخرج أبو نعيم عن الشعبى قال: تزوج سيدنا على أسماء بنت عميس بعد أبى بكر رضي الله عنه فتفاخر إبناها محمد بن أبى بكر وعبد الله بن جعفر، فقال كل واحد منهما: أنا خير منك، وأبى خير من أبيك. فقال على لأسماء: أقضى بينهما. فقالت لابن جعفر: أما أنت يا بنى فما رأيت شابا من العرب كان خيرا من أبيك، وأما أنت يا بنى – تعنى محمد بن أبى بكر – فما رأيت كهلا من العرب خيرا من أبيك. فقال لها الإمام على: ما تركت لنا شيئا، ولو قلت غير هذا لمقتك .وهنا تعطينا تلك الصحابية الجليلة رضي الله عنها نموذجا فى الحكمة عند التعامل مع الأولاد، بحيث لا يشعر أحدهم بتفضيل والديه لغيره عليه.

وعن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت فى شأن صيامهم يوم عاشوراء: "كنا نصوم، ونصوم صبياننا الصغار، ونجعل لهم اللعبة من العهن – أى الصوف – فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار". البخارى ومسلم. وبالتأمل فى هذا الخبر يتضح لنا أن تعهد النساء المسلمات من هذا الجيل لأولادهن حتى يشبوا على الطاعة كان أمرا شائعا بينهن، وذلك فى الطاعات والعبادات الشديدة مما يدل على قيامهن بذلك فيما عداها وحرصهن على تنشئة أبنائهن على الطاعة والعبادة' ولم يكن الصيام فقط هو مجال تعويد الأطفال على فعل الخيرات، فقد دلت السنة على أن امرأة رفعت للنبى صلى الله عليه وسلم صبيا لها، فقالت: ألهذا حج؟ قال: (نعم، ولك أجر). رواه مسلم. فهذه امرأة تبغى مشاركة صبيها لها فى الخير بأداء الحج، وقد زادها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (ولك أجر)؟ ليدفع بذلك كل أم أن تقوم بدورها فى دلالة أبنائها على وجوه الخيرات جميعها. و قيل ان أسماء بنت عميس توفيت سنة ارعين هجرية [٢٠].

نسيبة بنت كعب:

موقف السيدة نسيبة بنت كعب أم عمارة رضي الله عنها، وما حدث منها يوم أحد، فهى تقول" :رأيتنى وقد انكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما بقى إلا فى نفر ما يتمون عشرة، وأنا وابناى وزوجى بين يديه، نذب عنه والناس يمرون به منهزمين، ورآنى لا ترس معى، فرأى رجلا موليا معه ترس، فقال لصاحب الترس: ألق ترسك إلى من يقاتل، فألقى ترسه فأخذته، فجعلت أترس به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقبل رجل على فرس فيضربنى، وترست له، فلم يصنع سيفه شيئا وولى، فأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصيح: يا بن أم عمارة: أمك أمك، فقالت: فعاوننى عليه حتى أوردته شعوب – أى المنية، وقيل أن نسيبة بنت كعب توفيت سنة ١٣ هجرية[٢١].

بعض الآراء الغربية المتعلقة بتربية الأطفال:

يوجد بعض الآراء الغربية من شخصيات مختلفة تساند الرؤية الإسلامية في التنشئة، وإن لم يعترف معظم قائليها بانتسابها للإسلام، و يكفي المسلمون فخرا أن من يؤكد على صحة المبادئ الإسلامية هم علماء غربيون من خارج الإسلام.

---

[١٩]محمد علي قطب: نساء حول الرسول، ج١، ط١، دار الدعوة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص١٥١-١٥٢.

[٢٠]أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

[٢١]محمد سعيد مبيض: موسوعة حياة الصحابيات، دار الثقافة، إدلب- سوريا، ٢٠٠٥ ص٣٨-٣٩.

فقال الفيلسوف الألماني فيخته..الأخلاق من غير دين عبث.
و قال الزعيم الهندي المعروف غاندي" إن الدين و مكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال و لا يفترق بعضهما عن بعض. فهما وحدة لا تتجزأ. إن الدين كالروح للأخلاق، و الأخلاق كالجو للروح، و بعبارة أخرى: الدين يغذي الأخلاق، و ينميها وينعشها، كما أن الماء يغذي الزرع و ينميه".
و قال القاضي البريطاني دينيج معقبا على فضائح وزير بريطاني سابق في علاقة خلقية :" بدون الدين لا يمكن أن تكون هناك أخلاق، و بدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون، الدين هو المصدر الفذ المعصوم الذي يعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها، والدين هو الذي يربط الإنسان بمثل أعلى يرنو إليه، و يعمل له، و الدين هو الذي يحد من أنانية الفرد و يكفكف من طغيان غرائزه و سيطرة عاداته و يخضعها لأهدافه و مثله، و يربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق ".
و قال كانت:" لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة؛ وجود الإله و خلود الروح والحساب بعد الموت"(٢٢).
و فيما يلي تستعرض الباحثة بعض الآراء الغربية في شأن تربية الطفل، و توضح مدى التوافق فيما بينها و بين السنة النبوية و في أي مجال وقع الاتفاق.
أولا: طريقة جون آموس كومنيوس و رأيه في تربية الأطفال:
يتناول جون آموس كومنيوس التربية من عدة جهات، أهمها التعليم وهو جزء لا يتجزأ من التربية، حيث حدد له طرقاً معينة وأساليب محددة.
وأما من حيث طرق التعليم ونظمه فإصلاح التعليم يؤخذ من الطبيعة، فكما أن هناك ربيعاً وصيفاً وخريفاً وشتاء، والنباتات والحيوانات و الزهور تتلاءم مع الطبيعة، كذلك يبدأ الإنسان تعليمة وهو غلام، أي في الربيع.
وشبه الشباب بالصيف والرجولة بالخريف والكهولة بالشتاء، كما شبّه ساعات الصباح في دراسته وشبهها بالربيع، والظهيرة بالصيف والغروب بالخريف والليل بالشتاء(٢٣).
ولقد تناول كتابة (المرشد الأعظم)الطريقة التي يجب أن يحصل الإنسان منها على العلوم، وهي الحواس والملاحظة والتجريب على الاستنتاج. والتعليم يكون عن طريق العمل واستخدام الصور،وفي مرحله مدرسة الأم–أو مدرسة الطفولة–يجب أن يتلقى الطفل تعليمة من امة أو من ينوب عنها، متعلما مبادئ بسيطة من العلوم الكونية الشاملة.
وفي كتابه(مدرسة الطفولة)المشتمل على مجموعة توجيهات للطفل، من المحافظة على سلامة صحته الجسمية، و الاهتمام بالطبيعة، وكيفية استخدام الكلام، والاهتمام بالتقوى وكرم الأخلاق، واستغلال قدرة الطفل على التقليد والمحاكاة في حومة أسرته، وقدرته على اللعب.
ومع عظمة هذه المبادئ إلا أن أوروبا لم تأخذ بها للأسباب التالية:
١– لأنها جديدة.

٢– حرب الثلاثين عاما * وما صاحبها من دمار وعذاب.ومات هذا الرجل داعيا إلي استغلال الإنسان لحواسه وعقله لتكون تربية الطفل على أرض الواقع المحسوس.

(٢٢)عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٨، ص١٣٥.
(١) فتحية حسن سليمان: التربية والتعليم في المجتمع اليوناني والروماني، مرجع سابق، ص ٣٠.

مما سبق نجد أن كومنيوس له منهج في التربية يعتمد على:
١- إنقاذ الأطفال من القسوة والعنف.
٢- عودة الإنسان إلي الطبيعة ليراها في نظامها البديع ليسير على منوالها.
٣- مدى تأثير الأم في طفولة الفرد.
٤- توضيح أهمية المعرفة لكل مرحله من المراحل لدى الطفل.
٥-الاهتمام بالطفل في جميع أحواله والمحافظة على ملكاته وحواسه وعقله و جسده و ألعابه[٢٤].
ما يقابل منهج كومنيوس في الشريعة الإسلامية و السُنّة النبوية:
حين تناول كومنيوس منهج المعاملة الحانية للطفل و مدى قوة تأثيرها على سلوك الفرد، نجد أن الإسلام و المنهج النبوي قد سبقه في ذلك بالحديث عن الرحمة بالأولاد. فمن المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلبي الأبوين، شعور الرحمة بالأولاد و الرأفة بهم و العطف عليهم و هو شعور كريم له في تربية الأولاد و في إعدادهم و تكوينهم أفضل النتائج، وأعظم الآثار.
فالقلب الذي يتجرد من خلق الرحمة، يتصف صاحبه بالفظاظة العاتية، و الغلظة اللئيمة القاسية: و لا يخفي ما في هذه الصفات القبيحة من ردود أفعال في انحراف الأولاد و في تخبطهم في أوحال الشذوذ وستنقعات الجهل و الشقاء و لهذا كله نجد الشريعة الإسلامية قد رسخت في القلوب خلق الرحمة وحضت الكبار من آباء و معلمين و مسئولين على التحلي بها و التخلّق بأخلاقها.
وروي أبو داود و الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا من لم يرحم صغيرنا و يعرف حق كبيرنا " [٢٥].
وروى البخاري في الأدب المُفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " أتى النبي – ﷺ – رجل و معه صبي فجعل يضمه إليه فقال النبي ﷺ: أترحمه ؟ قال: نعم. قال: فالله أرحم بك منك به و هو أرحم الراحمين " [٢٦].
و كان عليه الصلاة و السلام إذا رأى أحداً من أصحابه لا يرحم أولاده يزجره بحزم، ويوجّهه إلي ما فيه صلاح البيت و الأسرة و الأولاد. فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة قالت: جاء

*** حرب الثلاثين عاما هي سلسلة صراعات دامية مزقت أوروبا بين عامي ١٦١٨ و١٦٤٨ م، وقعت معاركها بدايةً وبشكل عام في أراضي أوروبا الوسطى (خاصة أراضي ألمانيا الحالية) العائدة إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولكن اشتركت فيها تباعا معظم القوى الأوروبية الموجودة في ذاك العصر فيما عدا إنكلترا وروسيا. في الجزء الثاني من فترة الحرب امتدت المعارك إلى فرنسا والأراضي المنخفضة وشمال إيطاليا وكاتالونيا. خلال سنواتها الثلاثين تغيرت تدريجيا طبيعة ودوافع الحرب : فقد اندلعت الحرب في البداية كصراع ديني بين الكاثوليك والبروتستانت وانتهت كصراع سياسي من أجل السيطرة على الدول الأخرى بين فرنسا والنمسا، بل ويعد السبب الرئيسي في نظر البعض، ففرنسا الكاثوليكية تحت حكم الكردينال ريشيليو في ذلك الوقت ساندت الجانب البروتستانتي في الحرب لإضعاف منافسيهم آل هابسبورغ لتعزيز موقف فرنسا كقوة أوروبية بارزة، فزاد هذا من حدة التناحر بينهما، ما أدى لاحقا إلى حرب مباشرة بين فرنسا وإسبانيا.**

([24]) سعد ابراهيم الديهي :موقف الإسلام من تنشئة الطفل،دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٤١٦.

[٢٥]محمد ناصر الدين الألباني: السلسة الصحيحة، دار الصديق،المجلد الخامس،حديث رقم ٦٦٤٣، ٢٠٠٠،ص ٢٣٠.

[٢٦]محمد أبو عبد الله البخاري: الأدب المفرد– عرض محمد حسيني عفيفي، المكتب الإسلامي للنشر ، ١٩٨٨، ص ٩٨.

إعرابي إلي النبي – صلى الله عليه و سلم– فقال: أتُقبّلون صبيانكم، فما نقبّلهم، فقال النبي – ﷺ – أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟" (٢٧).

و روى البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن عليّ وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس. فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدا، فنظر رسول الله – ﷺ– إليه ثم قال: من لا يَرحم لا يُرحم"(٢٨).

و روى البخاري في أدبه عن أنس بن مالك قال: " جاءت امرأة إلي عائشة رضي الله عنها فأعطتها عائشة ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي لها تمرة و أمسكت لنفسها تمرة فاكل الصبيان التمرتين و نظرا إلي أمهما فعمدت الأم إلي التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة، فجاء النبي– صلى الله عليه وسلم– فأخبرته عائشة فقال: و ما يعجبك من ذلك؟ لقد رحمها الله برحمتها صبييها".

و كان عليه الصلاة و السلام إذا رأى طفل يحتضر و أوشكت أن تفيض روحه فاضت عيناه بالدموع حزنا و عطفا على الصغار و تعليما للأمة فضيلة العطف والرحمة.

روى البخاري و مسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت بنت النبي –ﷺ– إلي أبيها أن ابني قد احتضر فأشهدنا، فأرسل عليه الصلاة و السلام يُقرئ السلام و يقول: " إن لله ما أخذ و له ما أعطى و كل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب". فأرسلت إليه تُقسم عليه ليأتينها. فقام و معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب و زيد بن ثابت، و رجال رضي الله عنهم. فرفع إلي رسول الله – ﷺ– الصبي فأقعده في حجره و نفسه تقعقع، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: " هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده". و في رواية " جعلها الله في قلوب من شاء من عباده، إنما يرحم الله من عباده الرحماء" (٢٩).

و ينبغي ألا يغرب عن البال أن ظاهرة الرحمة إذا حلّت قلب الأبوين و رسخت في نفسيهما قاما بما يترتب عليهما من واجب وأديا ما عليهما من حق تجاه من أوجب الله عليهما حق الرعاية و واجب المسئولية ألا وهم الأولاد (٣٠).

و فيما يخص عودة الإنسان إلي الطبيعة نجد أن الرسول– ﷺ – تناول العودة إلي الفطرة السليمة.

فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه" (٣١).

فمن الأمور المسلّم بها لدى علماء التربية و الأخلاق أن الطفل حين يولد يولد على فطرة التوحيد و عقيدة الإيمان بالله وعلى أصالة الطهر و البراءة، فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية والخلطة الاجتماعية الصالحة والبيئة التعليمية المؤمنة نشأ الولد – لا شك– على الإيمان الراسخ والأخلاق الفاضلة والتربية الصالحة، وهذه الحقيقة من الفطرة الإيمانية قد قررها القرآن الكريم و أكدها

---

(٢٧)محمد أبو عبد الله البخاري: الأدب المفرد، المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٢٨)محمد اسماعيل البخاري: صحيح البخاري،رقم الحديث في البخاري٥٥٣٨، الجزء الرابع، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٥، ص ٤٠٨.

(٢٩)محمد أبو عبد الله البخاري: الأدب المفرد– مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٣٠)عبد الله علوان :تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٣١) الحافظ بن أحمد العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري،المجلد الرابع ، دار الريان للتراث،١٩٨٦، ص ٤٦٥ .

الرسول – ﷺ – وأثبتها علماء التربية والأخلاق. قال تعالى " فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله" الروم آية ٣٠.
و عن أهمية دور الأم في حياة الطفل نجد أن مسئوليتها أهم و أخطر من الأب باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلي أن يشب ويترعرع و يبلغ السن التي تؤهله ليكون إنسان الواجب و رجل الحياة والرسول – ﷺ – قد أفرد الأم بتحمل المسئولية حين قال: " والأم راعية في بيت زوجها و مسئوله عن رعيتها".
و ما ذاك إلا لإشعارها بالتعاون مع الأب في إعداد الجيل و تربية الأبناء، و إذا قصّرت الأم في الواجب التربوي نحو أولادها لانشغالها مع معارفها و صديقاتها واستقبال ضيوفها و خروجها من بيتها، و إذا أهمل الأب مسئولية التوجيه و التربية نحو أولاده لانصرافه وقت الفراغ إلي اللهو و ارتياد المقاهي مع الأصحاب، فلا شك أن الأبناء ينشئون نشأة اليتامى ويعيشون عيشة المشردين بل سيكونون سبب فساد وأداة إجرام للأمة بأسرها.
ثانيا: جان جاك روسو ورأيه في تربية الطفل
تلخص منهج روسو في النقاط التالية:
يجب أن نعامل–أو قل نربى–الأطفال بطريقة تتمشى وعمرهم، ولذلك قسّم كتابه إلي خمسة أجزاء، الأربعة الأولى تهتم بالطفل في مراحل نموه:
أ– الطفولة المبكرة.

ب– الطفولة المتأخرة.

ت– الغلومة.

ث– الشباب.

ففي المرحلة الأولى: يهتم بالعوامل المؤثرة في تربية الطفل: الطبيعة والمجتمع والأشياء(يمكن أن نتحكم في المجتمع والأشياء ولا نتحكم في الطبيعة الفطرية للطفل).
ويجعل مهمة تربية الطفل للآباء، إلا إذا كان طفلا يتيما فيتولى تربيته مرب خاص يثق به الطفل. ويترك الطفل للريف ومنة للطبيعة ولا يعود إلي المدينة أو الأحياء إلا إذا داهمه خطر شديد، يترك حرا بلا إعاقة متعودا على تحمل أجواء البرد والحر، مع عدم تدليله ،وأدوات لعبه لا تكون من الفضة أو من الأشياء الغالية بل تكون من الطبيعة، من فروع الأشجار والأزهار والثمار، ولا يعجل له بالكلام بل يترك حتى يستعد له ،فالطبيعة هي المسئول الأول عن تربية الطفل، بمعنى أنه ترك طفله للطبيعة دون تدخل منة، مهتما بتربيته الجسدية، مطلقا فطرته التي هو عليها.

وفي المرحلة الثانية:
هي الطفولة المتأخرة بين الخامسة والثانية عشر من عمرة في هذه المرحلة يجب ألا نملى على الطفل قيماً أخلاقية أو اجتماعية، لأنها سوف تكون عنده عندما يستعد لفهمها ويترك لعقاب الطبيعة إذا ما أهمل أو كذب أو أخطا.
وفي المرحلة الثالثة:
من ١٢–١٥ سنة لا يجبر على القراءة أوعلى استخدام الكتب للتعليم. ويجب في هذه المرحلة تقوية جسده والمحافظة على سلامته وتدريب أطرافه وعضلاته وحواسه، ويرتدى الملابس فضفاضة

عاري الرأس حتى لا تعوقه، ويعطى قدرا كافيا من النوم، ليس على فراش وثير، متعلما السباحة والقفز وتسلق الجدر والصخور، وتدريب حواسه، وخاصة السمع للتعرف على النغم. وينصح بأن يتعلم الطفل النجارة فهي أقرب للنشاط الجسمي والعقلي معا [٣٢].

ما يقابل منهج روسو في الشريعة الإسلامية والسنة النبوية:

بوجه عام اهتم روسو بوعي الوالدين في التربية ومدى شعورهم بالمسئولية الواقعة عليهم تجاه أبنائهم. و من الأمور التي يمكن أن يدركها المربي جيداً وتتأصل في بؤرة شعوره، استشعاره بمسئوليته الهامة في تربية الولد عقائدياً وسلوكياً وتأهيله جسميا، وإعداده عقليا وسلوكيا، وهذا الشعور بالمسئولية يدفع الوالدين لمراقبة الأبناء وتوجيههم وتعويدهم على الصواب. و يجب أن يراعي أن مراقبة الأبناء عن كثب هي السبيل الوحيد لإنقاذ أي خطأ تربوي قد يحدث بصورة سريعة.

و ما في الإسلام من تحمل المسئولية قوله تعالى:

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه:١٣٢]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [اتحريم:٦]

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [النحل:٩٣]

وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ [الصافات:٢٤]

و قال ﷺ:" الرجل راع ومسئول عن رعيته، و المرأة راعية و مسئوله عن رعيتها"[٣٣] متفق عليه

" إن الله سائل كل راع عما استرعاه حُفظ أم ضيّع حتى يسال الرجل عن أهل بيته" ابن حبان.

تنائج الدراسة والتوصيات.

نتائج الدراسة:

تتلخص نتائج الدراسة فيما يلي:

١- أن الاقتداء بالمنهج التربوي النبوي في نشأة أطفالنا هو أقصر السبل وأيسرها للوصول إلى أنجح النتائج.

٢- رغم وجود الكثير من التحديات التي تواجه الأسرة المصرية في تربية أطفالهم إلا أن هناك الكثير من الأساليب التربوية التي تساعد الأسرة على مواجهة تلك التحديات بنجاح.

٣- أن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن- و الصحابيات اتخذن من القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة منهجا لهن في تربية أطفالهن، مما ترتب عليه جيل كامل من الصحابة كالبنيان الواحد في اتحادهم وقوتهم و حسن خلقهم.

٤- أن الأسرة تعد اللبنة الأولي التي ترسي للفرد قواعد التربية السليمة.

٥- أن الاختلاف الزمني والفجوة الحضارية ما بين العصر الحالي وعصر الرسول " صلى الله عليه وسلم" لا يمثل حاجزاً أو عائقاً أمام تطبيق المنهج النبوي في التربية.

---

[32] سعد ابراهيم الديهي :موقف الإسلام من تنشئة الطفل،دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٤١٨.

[٣٣]محمد حبيب الجكني: زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري و مسلم،دار إحياء الكتب العربية،الجزء الاول ،٢٠٠٧، ص ٣٠٢، .

٦- أن أمهات المؤمنين وزوجات الصحابة كن يلاقين أيضا الكثير من التحديات، ورغم ذلـــك كـــان سبب نجاحهن في التربية هو التمسك بكتاب الله و سنة رسوله رغم صعوبات الحياة آنذاك.

تتلخص نتائج الدراسة فيما يلي :

في ضوء نتائج الدراسة تم وضع التوصيات التالية:

تركيز الضوء على حياة الرسول- صلى الله عليه و سلم- من جميع جوانبها.

إثراء المناهج التربوية في كافة المجالات بنماذج إسلامية مشرفة- حيث يزخر التاريخ الإسلامي في العصر القديم والحديث بالعديد من النماذج الناجحة في كافة العلوم- و إلقاء الـــضوء عليهـــا منـــذ مرحلة الطفولة.

٣-قراءة العديد من الكتب المعروفة التي تناولت سير الصحابة ونشأتهم، حيث يساعد ذلك على غرس القدوة الصالحة للأطفال منذ الصغر.

المراجع

١) لحافظ بن أحمد العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المجلد الرابع، دار الريان للتراث، ١٩٨٦.

٢) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥.

٣) احمد بن علي بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة" تحقيق ابن حسن الفيومي"،المطبعة الشرفية، المجلد الرابع،٢٠٠٨.

٤) خالد بن حامد الحازمي: التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع، رسالة دكتوراه غير منشورة،، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥.

٥) دراسة قدمت في مؤتمر" المرأة العربية و المشاركة المجتمعية: الآليات وتوجهات المستقبل"، جامعة جنوب الوادي والمركز العربي للتعليم والتنمية، الأقصر– قنا،١١–١٤ فبراير ٢٠٠٢.

٦) سام محمد حمامي: نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم، دار العلم، دمشق،١٩٩٨.

٧) سعد ابراهيم الديهي: موقف الإسلام من تنشئة الطفل، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٣.

٨) سند بن لافي الشاممانى الحربي: التعليم في المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، رسالة ماجستير غير منشورة،، كلية التربية بالمدينة المنورة ،جامعة الملك عبد العزيز ،المملكة العربية السعودية، ١٩٩٠.

٩) ظافر بن سعيد آل حمَّاد الشهري: نظرية روسو" دراسة تحليلة من منظور إسلامي"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية،٢٠٠٧ .

١٠) عبد الحليم عويس: الإسلام وتحديات العصر، شركة الإعلانات الشرقية، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة، ٢٠٠١.

١١) عبد الحميد الأنصاري: حقوق الأولاد قبل الوالدين، بحث منشور بالمجله العلمية، كلية الشريعة، جامعة قطر، العدد الثاني عشر، ١٩٩٤.

١٢) عبد الغني الدقر' مختصر تفسير الخازن، دار اليمامة، القاهرة، ١٩٩٤،الجزء الثاني.

١٣) عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٨.

١٤) علي محمد علي الألفي: أساليب الرسول "ص" في تربية الأطفال ومتطلبات تطبيقها لمواجهة تحديات العصر، رساله ماجستير، كلية التربية، جامعة المنصورة.

١٥) عيد مهنا: أخبار النساء في العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢.

١٦) محمد أبو عبد الله البخاري: الأدب المفرد– عرض محمد حسيني عفيفي، المكتب الإسلامي للنشر، ١٩٨٨.

١٧) محمد المأمون محمد علي: من التراث التربوي في الإسلام " نظام الأسرة في الصدر الأول من الإسلام "، رسالة دكتوراه منشورة، مجلة كلية التربية، ع ٦٤، جامعة المنصورة، مايو ٢٠٠٧.

١٨) محمد حبيب الجكني: زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري و مسلم، دار إحياء الكتب العربية، الجزء الاول،٢٠٠٧، ص ٣٠٢.

١٩) محمد سعيد مبيض: موسوعة حياة الصحابيات، دار الثقافة، إدلب– سوريا،٢٠٠٥.

٢٠) محمد علي قطب: نساء حول الرسول، ج١، ط١، دار الدعوة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٥.

٢١) محمد ناصر الدين الألباني: السلسة الصحيحة، دار الصديق، المجلد الخامس، حديث رقم

٦٦٤٣، ٢٠٠٠.

٢٢) محمود قمبر: المرأة بين التصورات والممارسات في التراث الإســـلامي والـــدور التربـــوي المطلوب، مستقبل التربية العربية، المركز العربي للتعليم والتنمية، جامعة المنصورة، العدد الـــسابع والعشرون، أكتوبر ٢٠٠٢.

٢٣) منى على السالوس :الجهود التربوية في عصر الخلفاء الراشدين، رســـالة دكتـــوراه غيـــر منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، ١٩٩٥.